(**وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٦٨)**) .

[٦٥- ٦٨] .

(**وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ**) أي : ولما فتحوا الأوعية التي وضعوا فيها الميرة .

(**وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ**) أي : وجدوا ثمن الطعام في متاعهم .

- جاء في (**التفسير الوسيط**) أي : وحين فتحوا أوعيتهم التي بداخلها الطعام الذي اشتروه من عزيز مصر. فوجئوا بوجود أثمان هذا الطعام قد رد إليهم معه، ولم يأخذها عزيز مصر، بل دسها داخل أوعيتهم .

(**قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا**) أي : قالوا يا أَبانا ما نَبْغِي هذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّتْ إِلَيْنا أي : يا أبانا ماذا نطلب من الإحسان والكرم أكثر من هذا الذي فعله معنا عزيز مصر؟ لقد أعطانا الطعام الذي نريده، ثم رد إلينا ثمنه الذي دفعناه له دون أن يخبرنا بذلك.

فما في قوله (ما نَبْغِي) استفهامية، والاستفهام للتعجب من كرم عزيز مصر .

والمراد ببضاعتهم: الثمن الذي دفعوه للعزيز في مقابل ما أخذوه منه من زاد.

أي : كيف لا نعجب وندهش، وهذه بضاعتنا ردت إلينا من حيث لا ندري ومعها الأحمال التي اشتريناها من عزيز مصر لم ينقص منها شيء؟

(**وَنَمِيرُ أَهْلَنَا**) أي : نجلب لهم الميرة .

(**وَنَحْفَظُ أَخَانَا**) أي : وَنَحْفَظُ أَخانا عند سفره معنا من أي مكروه.

(**وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ**) أي : ونزْدادُ بوجوده معنا عند الدخول على عزيز مصر (كَيْلَ بَعِيرٍ) أي : ويعطينا العزيز حمل بعير من الزاد، زيادة على هذه المرة نظرا لوجود أخينا معنا.

ولعل قولهم هذا كان سببه أن يوسف عليه السلام كان يعطى من الطعام على عدد الرءوس، حتى يستطيع أن يوفر القوت للجميع في تلك السنوات الشداد. (لا يعطي الواحد إلا كيل بعير) .

(**ذلك كَيْلٌ يَسِيرٌ**) اسم الإشارة في قوله سبحانه (ذلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) يعود إلى الزاد الذي أحضروه من مصر؛ أي: ذلك الطعام الذي أعطانا إياه عزيز مصر طعام يسير، لا يكفينا إلا لمدة قليلة من الزمان، ويجب أن نعود إلى مصر لنأتي بطعام آخر.

- **قال الشوكاني** : ومعنى (ذلك كَيْلٌ يَسِيرٌ) أن زيادة كيل بعير لأخينا يسهل على الملك ، ولا يمتنع علينا من زيادته له لكونه يسيراً لا يتعاظمه ولا يضايقنا فيه .

وقيل إن المعنى : ذلك المكيل لأجلنا قليل نريد أن ينضاف إليه حمل بعير لأخينا . واختار الزجاج الأوّل .

(**قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ**) أي : قال يعقوب عليه السلام لهم : والله لن أرسل معكم «بنيامين» إلى مصر، حتى تحلفوا لي بالله، بأن تقولوا: والله لنأتينك به عند عودتنا، ولن نتخلى عن ذلك .

(**إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ**) أي : إلا أن تُغلبوا فلا تقدروا على تخليصه ، ولا يبقى لكم طريق أو حيلة إلى ذلك، قال مجاهد : إلا أن تموتوا كلكم فيكون ذلك عذراً عندي .

- **قال ابن عطية** : قوله تعالى (إلا أن يحاط بكم) لفظ عام لجميع وجوه الغلبة والقسر والمعنى تعمكم الغلبة من جميع الجهات حتى لا تكون لكم حيلة ولا وجه تخلص. وقال مجاهد: المعنى: إلا أن تهلكوا جميعاً. وقال قتادة: إلا ألا تطيقوا ذلك.

وهذا يرجحه لفظ الآية. وانظر أن يعقوب عليه السلام قد توثق في هذه القصة ، وأشهد الله تعالى ، ووصى بنيه ، وأخبر بعد ذلك بتوكله ، فهذا توكل مع تسبب ، وهو توكل جميع المؤمنين .

(**فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ**) أي : فلما حلفوا له وأعطوه العهد المؤكد .

(**قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**) (قال) لهم على سبيل التأكيد والحض على وجوب الوفاء: الله تعالى على ما نقول أنا وأنتم وكيل، أي: مطلع ورقيب، وسيجازى الأوفياء خيرا، وسيجازى الناقضين لعهودهم بما يستحقون من عقاب.

- **قال ابن كثير**: وإنما فعل ذلك، لأنه لم يجد بداً من بعثهم لأجل الميرة التي لا غنى لهم عنها فبعثه معهم .

(**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ**) يقول تعالى، إخباراً عن يعقوب عليه السلام: إنه أمر بنيه لما جهزهم مع أخيهم بنيامين إلى مصر، ألا يدخلوا كلهم من باب واحد، وليدخلوا من أبواب متفرقة، فإنه كما قال ابن عباس، ومحمد بن كعب، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسُّدِّي: إنه خشي عليهم العين، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، ومنظر وبهاء، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم؛ فإن العين حق، تستنزل الفارس عن فرسه.

- **قال الآلوسي** : نهاهم عليه السلام عن ذلك حذراً من إصابة العين فإنهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد اشتهروا بين أهل مصر بالزلفى والكرامة التي لم تكن لغيرهم عند الملك فكانوا مظنة لأن يعانوا إذا دخلوا كوكبة واحدة ، وحيث كانوا مجهولين مغمورين بين الناس لم يوصهم بالتفرق في المرة الأولى .

ثم قال: والعين حق، كما صح عن رسول الله ﷺ وصح أيضا بزيادة :ولو كان شيء يسبق القدر سبقته العين .

وقد ورد أيضاً : إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر .

- **قال الشوكاني** : ولم يكتف بقوله (لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ) عن قوله (وادخلوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ) لأنهم لو دخلوا من بابين مثلاً كانوا قد امتثلوا النهي عن الدخول من باب واحد ، ولكنه لما كان في الدخول من بابين مثلاً نوع اجتماع يخشى معه أن تصيبهم العين ، أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرّقة ، قيل : وكانت أبواب مصر أربعة .

(**وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ**) أي: هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاءه ، فإن الله إذا أراد شيئا لا يخالف ولا يمانع .

جاء في (**التفسير الوسيط**) اعتراف منه عليه السلام بأن دخولهم من الأبواب المتفرقة، لن يحول بينهم وبين ما قدره تعالى وأراده لهم، وإنما هو أمرهم بذلك من باب الأخذ بالأسباب المشروعة.

أي : وإني بقولي هذا لكم، لا أدفع عنكم شيئاً قدره الله عليكم، ولو كان هذا الشيء قليلاً .

(**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ**) أي : ما الحكم إلا لله جل وعلا وحده لا يشاركه أحد ، ولا يمانعه شيء .

(**عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ**) عليه وحده توكلت في جميع أموري .

(**وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**) (وعليه) وحده (فليتوكل المتوكلون) أي : المريدون للتوكل الحق، والاعتماد الصدق الذي لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب التي شرعها الله وأمر بها.

لأن بالتوكل يحصل كل مطلوب ، ويندفع كل مرهوب .

إذ أن كلا من التوكل والأخذ بالأسباب مطلوب من العبد، إلا أن العاقل عند ما يأخذ في الأسباب يجزم بأن الحكم لله وحده في

كل الأمور، وأن الأسباب ما هي إلا أمور عادية، يوجد الله تعالى معها ما يريد إيجاده، ويمنع ما يريد منعه، فهو الفعال لما يريد.
ويعقوب عليه السلام عند ما أوصى أبناءه بهذه الوصية، أراد بها تعليمهم الاعتماد على توفيق الله ولطفه، مع الأخذ بالأسباب المعتادة الظاهرة تأدبا مع الله تعالى واضع الأسباب ومشرعها ...

- فالتوكل لا ينافي فعل الأسباب.

قال تعالى (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) مع أنه تعالى لو أراد أسقطه لها بدون هز منها.
ومن أوضح الأدلة قول يعقوب (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ).
(يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ) محافظة عليهم من العين ثم قال (وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ).
فقد أخذ بالسبب والحيطة، وصرح بان الاعتماد على الله وحده.
قال ابن القيم أيضاً: فعلى حسن ظنك بربك ورجائك له، يكون توكلك عليه، ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله.
التحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنه به، ولا التوكل على من لا يرجوه.
قال شيخ الإسلام: وما رجا أحدٌ مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه مشرك، قال تعالى (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ).
وقال: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله.
وقال بعض العارفين: المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه إلا ثدي أمه، كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه.
وقال ابن القيم – رحمه الله –ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه، وكان مأموراً بإزالته لأزاله.
قيل لحاتم الأصم: على ما بنيت أمرك في التوكل؟ قال: على خصال أربعة:
علمت أن رزقي لا يأكله غيري ... فاطمأنت به نفسي. ... وعلمت أن عملي لا يعمله غيري ... فأنا مشغول به.
وعلمت أن الموت يأتي بغتة ... فأنا أبادره. ... وعلمت أني لا أخلو من عين الله ... فأنا مستحيٍ منه.
قال بعض العلماء لا تتكلن على غير الله فيكلك الله إلى من اتكلت عليه.
وقال بعضهم: علامة التوكل انقطاع المطامع: أي في الخلق والأسباب.
(**وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا**) قالوا: هي دفع إصابة العين لهم .
ومعنى (قضاها) أظهرها ولم يستطع كتمانها يقال: قضى فلان حاجة لنفسه إذا أظهر ما أضمره فيها.

- **قال الشوكاني** : والمعنى ولكن حاجة كانت في نفس يعقوب ، وهي شفقته عليهم ، ومحبته لسلامتهم ، قضاها يعقوب ، أي : أظهرها لهم ، ووصاهم بها غير معتقد أن للتدبير الذي دبره لهم تأثيراً في دفع ما قضاه الله عليهم .

وقيل : إنه خطر ببال يعقوب أن الملك إذا رآهم مجتمعين مع ما يظهر فيهم من كمال الخلقة ، وسيما الشجاعة أوقع بهم حسداً وحقداً أو خوفاً منهم ، فأمرهم بالتفرّق لهذه العلة
(**وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ**) ثناء من الله تعالى على يعقوب بالعلم وحسن التدبير.
أي : وإن يعقوب عليه السلام لذو علم عظيم، للشيء الذي علمناه إياه عن طريق وحينا، فهو لا ينسى منه شيئاً إلا ما شاء الله.
(**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**) أي : لا يعلمون ما يعلمه يعقوب عليه السلام من أن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع التوكل على الله

تعالى، أو: ولكن أكثر الناس لا يعلمون ما أعطاه الله تعالى لأنبيائه وأصفيائه من العلم والمعرفة وحسن التأني للأمور.

الفوائد :

١-الحذر لا يغني من القدر .

٢-مشروعية التوقي من العين .

٣-وجوب التوكل على الله وحده .

٤-أرشد يعقوب أولاده لاستعمال أسباب الحذر ، ثم أشار إلى أن هذه الأسباب ليست أسباباً كاملة ، ولا مغنية عن حكم الله

٥-إثبات العين .

٦-أن الكثرة والجمال من أسباب الإصابة بالعين .

٧-بالتوكل يحصل على مطلوب ويدفع كل مرهوب .

٨-الإيمان بالقدر والأخذ بأسباب الحذر .

٩-بيان فضل العلم وأهله .

١٠-طاعة الأب .

١١-ودلّت هذه الآية على أن المسلم يجب عليه أن يحذر أخاه مما يخاف عليه ، ويرشده إلى ما فيه طريق السلامة والنجاة ؛ فإن الدين النصيحة ، والمسلم أخو المسلم.